الغيوم تشرب دمعها وترحل

كتبت في : عمـان ـ ايلول سنة ١٩٧٠ ، بيروت ـ ايـار سنة ١٩٧٣ ، وفي سائر الاشهر والعواصم العربيـة .

(١)

عَبرتك آسية التي تمتدّ خلف مدارها قدماك ـ آنية لدمعكَ سوف تشربهـا وترحل ثم ترحل في يديــك جزيـرة العرب .

عَبرتك جارحة مع اللفة التي دمَّرتها

وعُرضت في سوق المدينة جثة الكلمات (جنتك القديمة) هل تظل مشرّدا ؟

في أفقر الاحياء مثل أبيكِ حين يبيع رايته ويرهن ثدي أمك بالرغيف ويشتري

سببا لحزنك او لموتك ـ سوف تلفظــك المدينـة او يضيق هواؤها في الصدر : لا يتنفس الفقراء في مدن النحاس ولا يسيل على شوارعها

الا لعابك : خاسرا ابدا وخاسرة دموعك حيـن تقذفها على المريـخ تقذفها على عتبات آلهة من الخزف .

ستظل محنيًا كسارية على كل الموانىء ترتديك نوارس البحر القديم ويرتمـي

صدأ الشموس الهاربات بجفنك الرمديّ حيث تعرّش الاحزان بيـن الدمع واللهب .

: (لا عشب ينمو فوق هذا القبر) ـ تسأل نفسها في الليل آسية وتشرب حزنها الدهريّ تترك في قرار الكأس شارتها الكئيبة ثم تشتعـل .

ونبيها المقتول قبل الفجر في بريّة موصولة الفلوات يركب مهره الناريّ ثم تضمه السبل .

هذا سرابك فوق وادي الموت لم يهطل : سرابك غيمة حجرية بيضاء قاسية . . ونعطش سيدي ونظل نعطش ثم نعطش ثم نعطش والرياح شهية

والارض ترفع ساعدا كالآه نحو الشمس تبتهل .

كل المنافذ سوف تقفلها المدينة او يصكّ غبارها شفتيك يشرب قلبك الاسفلت حتـى القاع ـ لا تؤويك غير مساحة تمتدّ من خلفية الوطن المعلّق بين أحذيـة الجنود وبين ذاكرة كاحذية الجنود ـ وحين تقبل من خرائبك الشهية نحوها ،تبتلّ مثل الدمع آسية وتفتح بابها وتقول : « يا ولداه » ـ تغرق أنت في دمـك الموزّع في الخزائن أو على الطرقات حيـث تضمّـك الريح التي تؤويك والجبل .

كم ذا وقفت على ضفاف الموت ثم تكلّست حدقاتـك الكروية الصفراء : لا جسد السواقي ابتلّ فيه المـاء ـ لا حورية تأتي وتركض خلفها عذريـة الاعشاب ، والمدن التي اكتملت بكارتها تتلمّس الفرسان والفرسان قد رحلـوا

(موّال) **أوف**

يا راحلين ارجعوا دمعي عليكم سيل
والريح جمرا بتحـرق لسـانـي
مرهون قلبي بكم بيكل لفتة خيـل
والخيـل مربوطـه بشريـانـي
تشرب غيوم السما والشمس حبة هيل
سـودا كبيري بحجـم أحزانـي
بنقّط على ضلعي هموم الليـل
بغنيلهـا وبحكي عن وطانـي ـ

من أين تقبل هذه الاحزان حين تمرّ آسية وتنشر فوقها جسدا من الاطفال ، تلبس حزنها وتضمه مثل انهمـار الماء في خلد الجزيرة حين تصرخ : «اطعمينا» ثم لا تتقدّم الريح الخبيثة لا يعـود سوى الصدى .

من أيّ منعطف الجحيم يطل فارسها الرجيم ويحمل الغربـاء

يغرس في جماجمهم بريق حذائه الدموي أو قطرية للدمع هل يطأ المهاجر غير أحذية الجنود وغير سافية الردى؟ ملعونـة خطوات هذي الريح فوق مقابر الأحياء والموتى وفـاجرة اصابعها التي يكتظ فيهـا الصوت يحتقـن الصـدى .

لا شيء يعبر غير آسية التي تمتدّ خلف مدارها قدماك
تسقط أنتِ في دمهـا
ويشتعل المـدى .

محمد علي شمس الدين